مكانة المرأة وموقفها بين التمكين والاستغلال في فلسفة حنة أرنت

د. مروه عبد فهد
كلية الآداب جامعة واسط
رقم الهاتف: 07717023146 - marwaa.fahd@alkutcollege.edu.iq

الملخص

مهمة البحث أنّ يسلط الضوء على الاهتمام بقضايا المرأة وتمكينها والدفاع عن حقوقها ضد العنف المدمر المتسلط على النساء، ولاسيما في أبرز كتبها المدافعة عن هذا الموضوع (عن العنف1970) وحيث تنتقل ارنت من السلطة الى الذات التي تمكن المرأة من الدفاع عن هذا الحق المشروع في مجتمعها، في اعتقادي وموافقة لأرنت، أن العنف ضد النساء أكثر الجرائم طيشاً. إنه مؤشر على أن العقل أغلق نفسه بقمعية. أستعير فكرة الطيش من حنة أرنت، التي تقترح طريقة جديدة في التفكير حول العنف ضد النساء في عصرنا. تقترح أرنت أن في عملية التفكير الإنساني هناك غالباً ما لا يطاق، ويعود ذلك بصفة خاصة الى أن التفكير يمارس دور الكابح والمتسلط للتصور الفانتازي أن العالم يحتاج الى من يسيطر عليه، فالعنف بالنسبة لها لون من الخداع الذاتي - أو (عجز الضخامة)، تقول في مفتتح كتابها «الوضع البشري»: "ما أقترحه، لهذا السبب، بسيط جداً. إنه ليس أكثر من التفكير بما نفعل" ، تعتبر بساطة كهذه خادعة. لا بد من معركة من أجل التفكير. فالتهديد يأتي من كل جانب، وليس أقل مصادر الخطر المعرفة الوهمية التي تتركنا تحت رحمة كل جهاز صغير يمكن الحصول عليه، «بغض النظر عن مدى قدرته على القتل». العقل تحت الحصار، والتفكير هو الكابح الوحيد ضد خبرات القتل والصمت القاسي في العنف الصرف الذي يُسكت نفسه كما يُسكت ضحاياه. ويمكن القول أنّ أرنت، بتعبير مخفف، أنها ورغم لم تترك كتباً عن جانب حقوق النساء لكنها مشهورة بمساهماتها النسوية والمطالبة بوضع النساء في المجتمع. و يمكن النظر اليها، رغماً عن نفسها تقريباً، على أنها رائدة لنوع من التحليل النسوي الذي يتتبع إخضاع النساء والعنف الذي ينتج غالباً عن توزيع العمل -أو بالأحرى تخصيص مكان المرأة-في الحياة العامة. وتحلل ارنت وفق نموذجها السياسي، أن الحريّة محصورة في العالم السياسي، في حين كانت الاسرة المكان البيئة الاساسية والفوضوية لحياة المخلوقات والمكان المحرر للرجل لأنه يستلزم التسلط. ومن هذا التمييز القسري كان من المؤكد أن يأتي العنف، كما تذهب أرنت، "الفعل ما قبل السياسي لتحرير الذات من ضرورة الحياة وصولاً الى حرية العالم". أي السلطة الذكورية تطبق ما هو سياسي في الدولة وعنفها، ذلك هو السبب في أن الرق لا يعني فقط فقدان الفرد حريته، وإنما أن يكون خاضعاً لعنف صنعه الإنسان ضد الإنسان الاخر وهذا ضياع للحقوق البشرية، وهذا أيضاً السبب وراء غياب التقسيم للعمل بين الجنسين، لأن تلك الفكرة تتكئ على الاقل على فرضية المساواة الرسمية بين الرجال والنساء، وهذه فرضية غير موجودة برأي أرنت. فلابد من تخصيص مكانة المرأة سواء في العمل او في المنزل ، وهذا ما يبعد العنف عن هذه الجوانب.

كلمات مفتاحية / العنف –القوة-النسوية-حنة ارنت – السلطة

The Status Of Women And Their Position Between Empowerment And Exploitation In The Philosophy Of Hannah Arendt

Dr. Marwa Abdel Fahd
College of Arts, Wasit University

The task of the research is to shed light on the interest in women's issues, their empowerment, and the defense of their rights against the destructive violence that dominates women, especially in her most prominent books defending this topic (On Violence 1970), where Arendt moves from power to self that enables women to defend this legitimate right in their society. Violence against women

is the most reckless crime. It is an indication that the mind has closed itself off with oppression. The best way for feminism to confront it is to deal with it as much as the human mind can. Violence is part of the soul. It is an idea that must be rejected, but it is also something that makes it a type of feminism, in rejecting it... something that defies thought. At that moment, feminism becomes involved in the psychological processes that lead to violence. I borrow the idea of recklessness from Hannah Arendt, who proposes a new way of thinking about violence against women in our time.

Keywords: violence - power - feminism - Hannah Arendt - power

المقدمة:

يمثل فكر الفيلسوفة الالمانية حنة أرنت نقطة تحول في تاريخ الفكر الغربي، ولحظة انقلاب لعلاقة الفلسفة بالجوانب السياسية، هي أهتمت بما غاب عنه الفكر التقليدي الكلاسيكي، منحت الاهتمام للفرد والى الحياة النشطة في المجتمع ونظرت الى الإنسان بوصفه كائن فعلي سياسي، فلا يقتصر فهم الإنسان على طبيعته البشرية فقط ، بل لابد من فهم الفعل والنشاط المثمر من قبله، وهذا ما يحافظ على بقائه، وهذا الفعل هو ما يعطي المشاركة مع الاخرين وبذلك يفتح افاق وابواب التقسيم سواء كانت في العمل او في المنزل او في الجوانب السياسية، وهذا ما ينحى بالإنسان بعيداً عن مشكلة العنف وممارسته، وهذا الفعل النشط هو ما يجعل الإنسان دائما في مرحلة وعي وبدون فوضى، وبالتالي هو ما يحمي النسوية من عنف السلطة الذكورية ، وهذا ما نحاول أن نوضحه في مطلع البحث ، ما هي الاسباب التي أدت بالفرد الى ممارسة العنف، وكيف نقضي عليه ، وما شواهد حنة أرنت حول هذا الموضوع .

أولاً : من العنف الأيديولوجي إلى غياب الفكر الإنساني

تقف أرنت في كتابها أسس "التوتاليتارية " على جذور وأصول طبيعة العلاقة بين الأيديولوجية والسياسة التي ولدها القرن العشرين وأدت الى العنف، وكأن العالم أصبح حلبة صراع للحروب(ارنت، حنة(2016) اسس التوتاليتارية ، ص124-125)، على سبيل المثال النازية ولدت من صلب الحركات الفاقدة لوعيها والتي مارست العنف بوصفه طبيعياً في المجتمع حتى تقول أرنت فيه: " لقد كان النازيون على قناعة بأن البشر يمارس في عصرنا قوة جذب مرضية " (ارنت، حنة (2016) اسس التوتاليتارية، ص32-33)، لهذا تجعل أرنت التفكير هو الاساس الذي بموجبه يمكن مواجهة ومقاومة الشر، وبحسب ارنت أن العنف ممارس نتيجة لغياب هذا التفكير وهو ما تطلق علية "عوز التفكير" (ارنت ، حنة(2017)حياة العقل ،ص27) هو يعني حالة غياب القدرة على الفهم (ارنت، حنة(2017)حياة العقل،ج2،ص23) إذ أن الفهم لا يتحقق الا بحضور الفكر ويغيب بغيابه، هو ما يمكن تجاوزه بالتفكير في ما فعله الإنسان ، أي في نشاطه وفعله، ومن جانب أخر هو ما نقصد به غياب القدرة على التفكير قدرة الفحص التي تجنبنا العنف، ومن هنا يتسبب غياب الفكر في فعل الشرور التافهة، ومقاومة الشر حسب أرنت يستوجب إعمال العقل والتفكير ، وفي غياب العقل الإنساني يصبح كالحيوان القابل للترويض والطاعة حسب حاجة السيد، فيكون الفرد غنيمة سهلة للسيد يستخدمه لقضاء حاجاته السياسية ،حيث ينظر اليهم من طرف الانظمة الفاسدة كالات ووسائل حربية مستبدة، وذلك دون أن تشعر هذه الآلات بفعلها الشرير "فهي خير مادة وأطوعها لاقتراف الجرائم المهنية، على أن تكون هذه الجرائم منظمة بعناية فائقة ويكون لها مظهر الاعمال الروتينية" ،(أرنت، حنة(2016) أسس التوتاليتارية، ص76) ،وعليه تحت اسم القوانين يقوم الإنسان بأبشع الجرائم على أساس تنفيذه لقوانين من وضع الايديولوجيات ، وتنفيذها لمصالحهم مع إهمال الذات الإنسانية المقدسة، ولعل ايخمان في نظر أرنت أبرز ضحايا هذه الانظمة، لقيامه بأشنع الجرائم في حق يهود أوروبا رغم

إنسانيته البسيطة فكان بالنسبة له وظيفة وعمل عادي يطبق من خلاله قوانين خولت له، فغياب الفكر ناتج عن الاستراتيجية السياسية في ترويض الفكر الإنساني لخدمتهم، وبالتالي فإن حضور السلطة يغيب الفكر.

فالفعل الذي قام به إيخمان يحتاج الى تفكيرٍ جديد لا يقوم على أحكام ولا على المعاداة للنازية؛ لأن إيخمان هو مجرد شخص وقد أنجز عملًا تافهًا تعود مسئوليته للنظام النازي. فالتفكير الذي تدعو اليه آرنت هو تفكير في مجال الحريّة والارادة من زاوية سياسية، وليست أخلاقية كانطية محضة. وتقصد بالبعد السياسي النزوع نحو الانتقام والعنف، الذي يُوجد داخل كل واحد منا، أي عنف الإنسان للأخر، والذي تغذيه الانظمة البيروقراطية والكليانية التي تدفع البشر الى التصرف بدون رحمة، وهم يحسون أنهم يرتكبون مجرد أفعال بسيطة.وهذه الانظمة سادت لفرض السلطة ليس الا، فالأنظمة التوتاليتارية من وجهة نظر آرنت وتحديدًا النظام النازي والستالينية الروسية، هدفت نحو جعل النظرية السلوكية في الفعل البشري. ولقد أدت الحرب النازية على اليهود الى إبادة المليونيَن من يهود أوروبا، وفي الان ذاته عذَّبت الستالينية المعارضين السياسيين الموالين لصديق ستالين نفسه، حيث تم إطلاق النار على المعارضين وتم إرسال عشرات الالاف من بحارة بيتراسبورغ الى معسكرات الاعتقال في سيبيريا، نفس الفعل قامت به السلطات النازية في المانيا على أيدي موظفي الجيش والساسة النازيين. فهل نجد حلًّا لكل هذه الصراعات ؟(ارنت، حنة(2017) حياة العقل، ص27-50)، ترى آرنت أن الشر يُمارس في الفضاء العام أولاً وتحت أعين أشخاص مُعَدين سلفًا تحت التأثير الايديولوجي ، وهي هنا صارمة في وجه هذه (المأساة الانطولوجية) التي حلت بعالم اليوم الذي فقد صوابه، وتقول في وجه الملايين الذين اقتيدوا الى معسكرات الاعتقال والابادة: كيف لا تستطيعون أن تنتفضوا وأن تثوروا في وجه هذا النظام الهمجي؟ كيف تقبلون، أنتم الملايين، أن يقودكم في القطارات ما لا يتجاوز مائة جندي؟(ارنت، حنة(2014) ايخمان في القدس، ص57)، فهل بلغت الفظاعة بهذا الإنسان أن يكون خاضعًا بشكلٍ كلي لقوانين تتعارض مع إرادته وحريته؟ وعليه ، هنا تقف آرنت على الفهم الكانطي للقانون الاخلاقي، حيث اعتبرت الفلسفة الكانطية الشر متجذر بررت له بإرجاعه الى أصل الوجود البشري، وأرنت تخالف ذلك وتعتبر أن هذا القانون لن يجدي في شيء ولا يمكنه أن يحل مسالة الشر المتجذر في السلوك السياسي البشري، وتفتح هنا الافاق للتفكير في حجم هذه الفظاعة الشرسة التي أدت الى مجازر في حق البشرية. وأكيد أن شرط الإنسان الحديث يدعو الى التأمل في كل أبعاده، فالعنف عملاً تافه تتحمل مسؤوليته السلطة الكليانية من جهة والفرد من جهة أخرى بسبب غياب فكره. وعليه أذا تميز العصر الحيث بالفوضى والعنف فهذا يؤدي الى أزمة تفكير وغياب الوعي ، وهنا غياب لماهية الإنسان بما هو أنسان (العلوي، رشيد(2016) الشر الجذري عند كانط).

وبموجب السلطة التوتاليتارية يتحول الواجب الى واجب القائد ، ويغدو مبدأ الطاعة متمركزًا على الذات القائدة سياسيا، وهكذا يتحول مبدأ الطاعة المفترضة للواجب الاخلاقي الكانطي الى طاعة الواجبات التي يفرضها ويمليها الزعيم. هنا يتماهى الفرد — كما هو الحال مع إيخمان — مع القائد الذي يقود كل الافراد الاخرين، وهي الحالة التي يتحول فيها إيخمان الى رجلٍ عادي ولكنه يفعل الشر الى أقصى حد.(أرنت، حنة(2014)ايخمان في القدس، ص 251) ولكن فعل الشر هنا ليس نابعًا من الفرد ذاته بحسب ارنت، وإنما من السلطة السياسية والايديولوجية التي حولت الفرد الى قطيع يطيع أوامر الزعيم. (وهو الامر الذي وقف عليه فرويد قبل آرنت فيما يسميه بسيكولوجية الجماهير)، الحالة التي لم يعد معها الفرد قادرًا على التصرف كفرد وكذات وإنما حالة انفعال تطبع معظم تصرفاته ومواقفه كلما أمليت عليه الطاعة للسلطة. صحيح أن الايديولوجيات الكبرى قد فتحت القرن الواحد والعشرين على إمكانات لتخليص الفرد من القيود التسلطية التي فرضت عليه طوال قرون، ولكن لطالما تحولت هذه الايديولوجيات الى عذابٍ اليم بالنسبة لتلك الجماهير التي أسكرتها وسحرتها بعباراتها التحررية. فستالين نفسه الذي يخطب في الناس أيام البلشفية الاولى، وهو في طريقه الى جبال القوقاز لتجنيد الشباب للنضال ضد القيصر، سرعان ما سيتحول الى مستبدٍّ أكثر من القيصر نفسه، وهو يشرف على مذابح موسكو ١٩٣٦، وعلى الاخص ذبح زملائه في النضال السياسي(ارنت،

حنة(2017) حياة العقل، 27-53). ونقرأ في أسس التوتاليتارية: " إن انجذاب الشعب نحو الشر والجريمة ليس شيئًا جديدًا. الناس لم يتوانوا عن الترحيب بأعمال العنف، مدركين أن هذه الاعمال قد تكون سيئة لكنها أعمال خلّاقة. لكن الاخطر في نجاح التوتاليتارية هو عدم الاكتراث الحقيقي الذي يبديه المنضوون تحت لوائها ن المنطقي الا يهتز النازي أو البلشفي في قناعاته عندما يشهد أعمال عنف ضد أشخاص لا ينتمون الى الحركة أو يعادونها، لكن الغريب في الامر الا يرفَّ له جفن حتى عندما يبدأ الوحش بالتهام أبنائه، أو حتى عندما يصبح هو نفسه ضحية للاضطهاد، أي إذا ما تمت محاكمته من دون حق، أو جرى طرده من الحزب، أو حُكم عليه بالأشغال الشاقة أو أُرسل الى مخيمات الاعتقال" (ارنت، حنة(2016) اسس التوتاليتارية، ص 65)... وعليه يصبح إيخمان، رجلًا عاديًّا غير مسئول عن فعله لا يمتلك التفكير لأنه ليس هو منبع الشر، وإنما مجرد أداة تنفيذ لأوامر السلطه، وبموجب هذا ينبغي الانتباه الى التحول العميق الذي حدث في فهم بِنية الشر، بحيث لم يعد الشر — كما هو الحال عند كانط — القيام بأفعال لا تنسجم والقانون الاخلاقي، وإنما أصبح الشر نابعًا من طاعة الاوامر القانونية. وبمعنًى آخر هل يمكن أن نعتبر أن إيخمان يعي جيدًا أنه يفعل الشر؟ أو أنه يقوم بفعل الشر بمحض إرادته؟ إيخمان في نظر آرنت هو مجرد موظف ينفذ القرارات التي يمليها القانون؛ فأي مسئولية أخلاقية يتحملها إيخمان ها هنا؟ وهكذا فليس ثمة من شر—بحسب آرنت—في الطبيعة البشرية، ولكن ثمة شر تافه يجول في العالم ولهذا تقول آرنت:" أعتقد صراحة أن الشر لم يكن راديكاليًّا أبدًا، وإنما فقط شر الى أقصى حد" (ارنت، حنة(2014) ايخمان في القدس، ص251).

وغياب الفكر تطلق عليه ارنت بالطيش الإنساني ، هناك في التفكير الإنساني ما لا يطاق ومعرفة واهمة بغياب الحريّة وهذا ما يؤدي بالإنسان نحو العنف، وبحسب أرنت لابد من معركة من أجل التفكير ، لأن العنف ليس أكثر من التفكير بما نفعل ، فلابد من حصار العقل ، لكون العنف من الممارسات اللاعقلانية، وعليه أرنت قلب المفهوم السائد في الفكر الغربي عن العنف ليصبح برأيها سطحياً تافهاً وفقاً للفعل والنية، يتجسد حين يغفل العقل وينفصل الفكر عن الفرد ليرتكب الجرائم ، فكله عمل إنساني تافه حسب أرنت، النية كأساسٍ ذاتي للتفكير، ولهذا يتوجب أن نغيّر طريقة تفكيرنا نحو الخير دومًا. "فالتفاهة" العبارة التي تتحدى الفكر والفلسفة بعامة، التفاهة تكمن في استقالة الضمير والعقل عن تحمل المسؤولية بوعي، لان من قام بهذا الفعل التافه هو مجرد جزء ممن ماكنة السلطة والتي لم تدعهم حتى في أن يحسوا بإنسانيتهم(أرنت، حنة (2014) ايخمان في القدس، ص55)

وعليه، أن الشر في نظر آرنت لا يعود سببه الى الفرد الذي تحوَّل الى مجرد وسيلة الة ميكانيكية لتنفيذ السياسة القائمة على الرفض وعلى معارضة الاخر ، إنه حالة غياب للاعتراف بالغير وغياب الايمان بالتشارك مع الاخر. هذه السياسة التسلطية التي تقوم على القوة والعنف، لا يمكنها أن تؤسس لسلام ولفعلٍ حرٍّ مبني على تفكير عقلاني لدوام الخير للناس؛ لذا فالعنف لا ينجم عنه الا عنفٌ مضاد، لذلك على الفرد أن لا يعاقب، لكونه قام بفعل لا أخلاقي، وإنما يتوجب الاعتراف أنه ليس مذنبًا بقدر ذنب النظام السياسي النازي الذي يمثله، وهكذا كان يكفي أن يعترف أنه ارتكب جرمًا في حق الإنسانية وأنه يتوجب أن يُحاكَم بقانونٍ آخر غير القانون الذي صار هو نفسه منبع الشر.

ثانياً : من غياب الفكر الى فوضى الحريّة والارادة:

إن غياب الحريّة مرتبط بغياب حرية الفكر الإنساني وحرية الارادة، فإن الحريّة تبرهن على الارادة وسيادة الفرد "فحرية الارادة تستمد جميع مادتها من القدرة الداخلية للتأكيد أو الرفض"، (حنه أرنت، حياة العقل،الجزء2،مصدر سابق، ص107)مستلهمة في ذلك من أفكار القديس اوغسطين، وإن في غياب حريته وفكره يصبح الإنسان مجرد كائن محض تافه بعيدا عن شرطه الإنساني وتطبيقه لإرادته، ويعم عامل الطيش والفوضى في المجتمع، لذلك لا تكون حرية للنساء هنا بل الحريّة للجانب السلطوي، وعليه يفقد الإنسان عند ما يمتلك الفوضى ابرز سماته الإنسانية الا وهي الإنسانية، فالقيم الإنسانية منبعها ذاتي ويحقق للإنسان شرطه الإنساني بتطبيق فكره وحريته وإرادته، ففي هذه الحالة يمكن أن نحكم على الافعال أنها صادرة منه، لأنها نتاج فكره ولا يتحمل عواقبها الا نفسه. وهذا على العكس ما حدث وإن

وجهت الايديولوجيات التوتاليتارية من قوانين متزمتة لأبرياء قاموا بتنفيذ أوامرهم وأطاعوها، حيث قاموا "بإقناع ضحاياها بذنبهم عن جرائم لم يكونوا قد ارتكبوها" .(أرنت، حنة(2016) اسس التوتاليتارية، مصدر 94)، فلهذا تصر حنه أرنت على إعادة النظر والتفكير في الحريّة الإنسانية ، باعتبارها خاصية إنسانية تجنب الشر وتطبق الارادة الإنسانية من الزاوية السياسية، لأن الإنسان كائن سياسي واجتماعي بطبعه، فهناك علاقة وطيدة بين البنية السياسية والحريّة الإنسانية، فتقول أرنت أن " للسياسة معنى هو الحريّة" ،(أرنت، حنة(2004) ما هي السياسة، ص 26)، وبما أن السياسة تقتضي الحريّة، فهذا يعني تحرر الافكار والارادات الإنسانية أيضا، فهذا التحرر لا يكون غلا في الفضاء الإنساني الاجتماعي الذي يشكل الحالة السياسية: "لا توجد حرية الا في الفضاء الوسيط الخاص بالسياسة للهروب من هذه الحريّة نهرع للضرورة التاريخية وهو ما يمثل عبثية فظيعة".(أرنت، حنة(2004) ما هي السياسة، ص.8).

ففي ظل هذا التحرر السياسي يحدد الإنسان ماهيته وشخصيته وذلك بتحرر أفكاره وأفعاله، لأن الحريّة شرط إنجاز الفعل، فالإنسان موهوب للعمل والسياسة، فمجموع القدرات والامكانات "يمكن تصور وجودها من افتراض وجود الحريّة" ،(أرنت، حنة(2014) بين الماضي والمستقبل، ستة بحوث في الفكر السياسي، ص204) وإن في سعي الإنسان لامتلاك الحريّة والتحرر متاهات دورية وشائكة من العنف والشر إذ تهدد وجوده وكينونته ووضعه الإنساني بحيث غاب واستحال تحقق الحريّة كحق إنساني "فمن العجيب أن تختفي كلمة الحريّة ذاتها من القاموس الثوري" (أرنت، حنة (2008) في الثورة، ص14). وفي ظل امتلاء العالم بالشرور وتعنيف الانظمة الفاسدة التي وضعت قيودا دائمة للإنسانية حيث لم يعد هناك مكانة للحرية الإنسانية هنا تطرح أرنت مسالة الوعي والضمير من خلال حالة أيخمان ، "هل شعر أيخمان بتأنيب الضمير؟ ، عندما أجاب عن هذا السؤال قال إنه كان سيشعر بتأنيب الضمير فقط لو لم يطبق الاوامر. وأضاف محاميه أنه شعر بالذنب أمام الله ولا يشعر بالذنب أمام القانون(مليكة بن دودة(2015) فلسفة السياسة عند حنة أرندت،ص158)، هنا تكمن التفاهة في استقالة العقل والضمير من تحمل المسؤولية بوعي، الى الحد الذي لا تدع لهم أي مجال في أن يحسوا بإنسانيتهم.

ثالثاً: العنف وعلاقته بقوة النسوية

أكدت أرنت في كتابها " العنف" التميز بين العنف والسلطة، تتجلى مشكلة العنف في السلطة "فكل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة والعنف إنما هو أقصى درجاتها.

تميز أرنت ذلك بقولها: " أنَّ واحداً من أكثر التمييزات وضوحاً بين السلطة والعنف يكمن في أنَّ السلطة قد ارتكزت على الدوام الى العدد، أما العنف فإنه الى حد ما يكون قادراً على تدبير أمره مستغنياً عن العدد، لأنُه يستند الى الادوات (أدوات القمع) (ارنت، حنة(2015) في العنف ، ص36) .

العنف له تأثيره وفعاليته ، أذ يتميز بطابعه الادواتي، وأدواته تطورت تقنياً الى حد القول أن ثمة غاية سياسية تتناسب مع قدرتها التدميرية، هذا وأن العنف عمل غير شرعي هو يمثل اختراقاً للحدود المقبولة كاستعمال القوة في العلاقات الاجتماعية، ومن ثم فأهدافه غير شرعية كسعيه الى السيطرة على السلطة (أرنت(2015) في العنف، ص44-50)

وفي الرجوع الى التمايز الاساس بين السلطة والعنف ثمة ما يجمع بين عنف السلطة وسلطة العنف، فيجب البحث في جوهرهما معاً ،" السلطة تكمن حقاً في جوهر كل حكومة، لكن العنف لا يكمن في هذا الجوهر، العنف في طبيعته اداوتي وهو ككل وسيلة، يظل على الدوام بحاجة الى توجيه وتبرير في طريقه الى الهدف الذي يتبعه" (أرنت(2015) في العنف، ص45)، وفي هذا السياق تذهب ارنت : " السلطة لا تحتاج الى تبرير انطلاقاً من كونها لا تقبل أي فصل عن وجود الجماعات السياسية نفسها، وما تحتاج اليه السلطة إنما هو المشروعية، والحال أن معاملة هاتين الكلمتين، عموماً باعتبارهما مترادفتين أمر مربك ومقلق، تنبثق السلطة في كل مكان يجتمع فيه الناس ويتصرفون

بالتناسق فيما بينهم، لكنها تنبسط مشروعيتها من اللقاء الاول أكثر مما تستنبطها من أي عمل قد يلي ذلك، أن المشروعية حينما تجابه تحدياً تستند نفسها في التوجه الى الماضي، أما التبرير فأنه يرتبط لغائية تصل مباشرة بالمستقبل" (ارنت(2015)، في العنف،ص46) وهذا التعليق رداً على القول التقليدي القائل: أن الحكومة تستخدم العنف من أجل سيطرتها على الإنسان ، فهنا تؤسس ارنت من أجل التحرر من السيطرة الكلاسيكية، والى ضرورة التميز بين العنف والسلطة، أذ أن السلطة تكمن في جوهر الحكومة أما العنف ذو بيعة أداتيه، لذلك لم يحدث أن أسست الحكومة سلطتها على أساس العنف(أرنت(2015) في العنف، ص50).

لقد برزت أفكار أرنت في العنف تعارضا مع السياسة لأن ممارسة ما هو الا أداة مسلوبة الارادة، إذ فسرته سياسياً باعتباره عملا تافها عادياً، إذ أصبح من وسائل العنف السياسية أكثر دمارا من الآلات والمدافع الحربية إذ تقول "من غير الممكن أن تكون هذه الوسائل التي هي متوفرة في الوقت الحالي للقوى العظمى، والتي ستوفر في المستقبل القريب لكل الدول ذات السيادة ستكون في النهاية خدمة في الفعل السياسي" ،(أرنت، حنة(2014) ما السياسة ، ص182)

فالعنف والسياسة يبرز بشكل جلي حينما يهدد السياسيون بفقدان سلطتهم، وتضيف القول: "تلك الادوات التي تزيد من قدرة العنف بزيادة القدرة البشرية إذا ما كانت أدواته عبارة عن الآلات التي يصنعها البشر أنفسهم، والتي تتزايد فعاليتها التدميرية بالتناسب مع المسافة التي تفصل بين المتجابهين، وهذا يعود الى الهوة بين ما بيد الدولة من أدوات العنف الضخمة المحسنة بالتقنية وبين ما يمتلكه الشعب، بدءا بزجاجات البيرة وصولا الى البنادق والتي بالكاد كانت تنتج فرقا" (أرنت(2015) في العنف ، ص42)وهنا تقر أرنت أن التقدم التكنولوجي هو من الاسباب الرئيسية للمأساة التي يعانيها الناس فأصغر الاختراعات تطورا اليوم بإمكانه أن يتحول الى سلاح من أسلحة العنف، يستعمل لتحقيق غاية ما، فالعنف فعل يمارس كوسيلة لتحقيق غاية سياسية ما، وهو لا يحتاج الى أكثر من أداة تقنية واحدة لحسم الامور لصالح العنف. وهذا ما حاولت أرنت أن توضحه ، وهو التأكيد على أن العنف وسيلة لتحقيق مآرب ضرورية بعيدا عن المطالب الحقيقية للحياة، حيث تقول: "العنف المعاصر أدواتي، ليست الغلبة هدفه ولا النصر أعز مطالبه...وهو لا يؤدي أبدا الى السلم فالحرب العالمية الثانية لما انتهت لم تأخذ معها عنفها، ولم يحل السلم محل العنف..لقد أفرزت الحرب العالمية حربا أخرى، انتفضت على كل أدوات وأوجه الحرب التقليدية، وأصبحت خلالها وسائل الحرب وأدواتها أهم من الحرب نفسها" (أرنت(2015) في العنف، ص73) لأن الاداة أصبحت تقنية تعتمد فعاليتها على مقدار تطورها التكنولوجي الذي لا يهدد أمن المجتمعات فحسب بل يهدد بفناء الامم أيضا، وعليه فالعنف لا يمكن أبدا أن يحوز على الشرعية.

تبتعد السلطة كثيرا عن العنف فهما كما قلنا سابقا ظاهرتان متزامنتان، حيث يتضح العنف السياسي بخوف السياسيين من فقدان سلطتهم أو التهديد لفقدانها وبذلك تتحول السلطة الى وسيلة قمع وعنف وإكراه قصد الحفاظ على مراكزهم "فكل انحطاط للسلطة هو دعوة مفتوحة للعنف على الاقل ، لأن أولئك الذين يمسكون بزمام القوة ويشعرون بأنها تنزلق من أيديهم، وكانوا دائماً يجدون أن من الصعب مقاومة إغراء استبدال العنف بها" (أرنت(2015)، في العنف، ص79)، فالدولة تلجأ الى العنف عندما تفقد قوتها وسيطرتها، فالمتسلطون والسادة الحاكمة إذا أفلت الحكم من أيديهم يضطرون الى استبدال السلطة بالعنف فإن مركز السلطة "يكمن في جوهر كل حكومة، لكن العنف لا يكمن في هذا الجوهر" (أرنت(2015) في العنف، ص 45)، إنما يستغل كغاية للوصول لأهدافه التي هي دوام واستمرارية السلطة، بحيث يستعمل القائد التوتاليتاري جل الافعال القمعية "فهذا القائد يتجسد في شخص ماكر" (أرنت(2016) أسس التوليتارية، ص122)، إذ تقوم سلطته على تحويل الإنسان الى الة شريرة تنتهي صلاحيتها وقت قضاء مصلحتهم بها فتكون المصلحة إذن "مطلقة من الاعلى الى الاسفل، والطاعة المطلقة من الاسفل الى الاعلى" (أرنت(2016) أسس التوليتارية، ص122)،

فالإنسان العادي الذي لا يخضع لتفكيره يكون في طاعة عمياء لهذه الانظمة حتى وإن لم تخدم مصالحه. لكن وبحسب أرنت أن عنف الدولة هو الملاذ من العنف الاسري الذي توجد تحته الحريّة ، والملاذ لما هو اجرامي فكل نقص في القوة هو أتجاه نحو العنف الاسري الموجه ضد النساء بصورة خاصة، وترفض نسبياً "حنة آرنت" القول أن العنف مساو للقوة وجعلت العنف مرتبط بجزئية القوة ، خاصة إذا أستخدم العنف كوسيلة للإكراه ، وهذه الكلمة يتعين حفظها لتصريف الطاقة الناتجة عن الحركات الطبيعية أو الاجتماعية ، ويجب أن تكون هذه القوة مرتبطة بالتسلط (أرنت(2015) في العنف، ص40) تربط النسوية بالتميز الارنتي بين القوة والضعف ، حيث تربط العنف بقوة الرجل ليكون العنف التعبير الحتمي عنها، وهذا ما يناقض النسوية ، وبرأي أرنت هذا لخداع من قبل العنف، عجز السلطة يولد ممارسة العنف وتؤكد أرنت على هذا بقولها: " إن فقدان السلطة يصبح مغرياً لأصحابها بإحلال العنف محل السلطة (أرنت(2015) في العنف، ص49) أي عندما يحل العنف محل السلطة، يعمل العنف على تدمير كل سلطة، وفي هذا السياق ترى أرنت: " أن السلطة خلافاً للقوة، وخلافاً للعنف ...إذ ليست السلطة وسيلة لتحقيق غاية ما، ولكنها الشرط الذي يمَّكن الناس من التفكير والفعل ... بما في ذلك التفكير والفعل من حيث الوسائل والغايات والحال كذلك من حيث الفاعلية " (أرنت(2016) في العنف ، ص 49) وهذا يدل أن السلطة هي جوهر السياسة على اعتبار أنها مجموعة من آليات التي تتحكم في المجتمع، وعليه أن القوة نقيض للعنف، وعندما يمارس الاخير تختفي القوة ، وعليه لا حاجة لوجود العنف حسب ارنت مشروعية القوة تظهر من مبادرة التجمع والاتصال بين الذوات في المجتمع ، فبوجود القوة تكتمل هويتنا وباختفاء القوة يغترب الإنسان عن عالمه، ويمارس العنف بين الإنسان والاخر، وهنا نهم التميز الذي تضعه ارنت بين هذه المفاهيم القدرة كعملية فردية تتمثل في السيطرة على الاخرين وهي متمثلة في وسائل الاكراه وغيره، بينما القوة(السلطة) الذي تعنيه ليس قدرة الإنسان على أن يفعل ولكن أن يفعل مع الاخرين فالقوة كفعل لا تمارس الا مع الاخر، والنسوية هنا تصبح ضحية لفعل العنصر الذكوري المتسلط الغير مفعل لهذه القوة ولهذا الفعل في الواقع ، فبالفعل فقط ندخل الى العالم البشري، وهذا الدخول أشبه بولادة ثانية(أي التواجد بالقول والفعل مع الاخرين) نؤكد فيها ونحمل على عاتقنا المسالة الخاصة لظهورنا الجسدي تلك البداية الجدية، (الولادة الثانية)، وهنا كأن الفعل مقسما الى جزئين البداية التي ينجزها إنسان واحد، والاكتمال الذي يمكن أن يشارك يه الكثيرون وهم يحملون وينهون الغرض ويواصلون الى نهايته" (ارنت، حنة(2018) : الوضع البشري ص211) أذا نحن والنسوية نتغلب على العنف المؤدلج سواء كان في المجتمع او في الفضاء ، من خلال العل والنشاط في المجتمع حسب أرنت وعليه هي خدعة كاذبة من يسيطر على العالم يسيطر على النساء، لأن هذا عجز الضخامة بحسب أرنت اللاوعي .

رابعاً: من سؤال العنف الى السلم النسوي

بعد أن بينا مع ارنت أن ظاهرة العنف التي اعتلت العالم هي نتيجة حركة اللاوعي التي تسير الاشخاص، اي فساد الجهاز السياسي للدولة، فالعنف أذاً نقيض للحرية ، لأن الحريّة تعبر عن أسمى معاني الإنسانية وأرقى الافعال التي يعبر عنها العقل، والعقل هو المشرع لأفعال الإنسان.

استطاعت حنة أرنت أن تعيد للإنسان حده لا عن طريق الماهية أو الجوهر المحدد بفعل الولادة، إنما كشفت عنه بناء على العلاقات البينداتية التي تربطه بذوات أخرى تتقاسم معهم الحياة وتشاركهم طموحاتهم ومتطلعاتهم المستقبلية لكونهم كائنات عمومية يعيشون في ضل فضاء عمومي كحيز وفضاء تمارس فيهم الذوات أنشطتهم ويحققون فيه مصالحهم "تتعاطى السياسة مع التعايش بين مختلف الناس واجتماعهم، وينظم البشر أنفسهم سياسيا على ضوء بعض الاشتراك الاساسي القائم بينهم داخل فوضى مطلقة للفروقات أو هو مشتق منها" (أرنت، حنة(2018) في السياسة وعدا، ص 149-150) ولا يمكن للإنسان أن يتواجد في هذا الفضاء الا إذا كان حر مثلما ذكرنا.

مارس الإنسان بوصفه حيوان سياسي نشاطاته ضمن الفضاء العمومي أذاً وهو الفضاء الذي ينتقل اليه الإنسان من القوة الى الفعل، فمن الاسرة التي تواجد فيها بفعل الولادة والخلق الى المجال الذي سيتحقق فيه الشرط الإنساني، وهذا الفضاء في نظره من أوجد المرء ، ويستقر باستمراره على خلاف الطبيعة والكون، وعليه نحن نشتق من هذا التحليل النسوي لمكانة المرأة والكامن ضمن المجال الخاص(الاسرة) وهذا مشتق من نموذجها السياسي المثالي(الفضاء الاغريقي المتمثل في المدينة-الدولة، حيث كان على رأس الاسرة الحاكم(رب الاسرة) يحكم بقوة مستبدة، وهنا العقل الذكوري قد أغلق نفسه بوحشية مما جعله يتعامل دون وعي مع النساء، لذا الطريقة المثلى لمكانة المرأة التعامل مع ما يستطيعه العقل، وقد ذكرنا ان العنف جزء من النفس، وطريقة ارنت في التفكير حول العنف ضد النساء في عصرنا متميزة، أذ تقترح أن التفكير يمثل ويمارس دور الكابح للتصور الفانتازي، أن العالم يحتاج الى من يسيطر عليه، وعليه ان من يسيطر على العالم يسيطر على المرأة، هذا ما تعبر به أرنت بعجز الضخامة، فلابد من معركة من أجل هذا التفكير.

كما تميز ارنت بين النشاط الممارس ضمن هذا الفضاء بوصف المجال العام ونشاط المجتمع، وأن تحقيق درجة الكمال الإنساني وإيقاف العنف ضد النساء، لا تحصل الا بخروج الإنسان من الاسرة بوصفه الخلية الاساسية في المجتمع الى الفضاء العمومي، فمن تدبير شؤون المنزل وتلبية الضرورية لأفرادها الى تدبير الشؤون العامة والمصالح المشتركة، وهذا التمايز هو ما يفصل الفضاء الخاص عن الفضاء العام، ضف الى ذلك خاصة التعددية والكثرة التي يتصف بها هذا الاخير، الى جانب أن الإنسان يتمتع بأكبر قدر من الحريّة في هذا الفضاء مما كان عليه في الاسرة، كونه محكوم بضرورة بيولوجية وبالإكراه القسري والخاضع لسلطة الاب، "لأننا لا نستطيع التغلغل في الفضاء السياسي، الا إذا ابتعدنا عن وجودنا الخاص، ومن محيطنا العائلي الذي يتصل بحياتنا، ذلك الفضاء الذي وقع التغلغل فيه من قبل أولئك الذين تجرؤا على تجاوز عتبة المنزل." (أرنت، حنة(2014) ما السياسة،ص43) ، وعليه ان الحريّة لا يحصلها الإنسان في القطاع الخاص بل في الحريّة السياسية(المجال العام) الذي يكفل الطبيعة الاجتماعية والسياسية للبشر ، وعنف السلطة يذكرنا بالمجال الخاص أي بما يمارسه رب العائلة على أفراد الاسرة، لذلك الاسرة المكان الذي لا غنى عنه في الاستعباد والفوضى هو المكان الذي يجب السيطرة عليه من جانب لكي يتحرر الرجل ويستحال استخدام العنف ضد النساء هنا ، ومن هذا التميز القسري يأتي العن وكما تذهب أرنت: " الفعل ما قبل السياسي لتحرير الذات من ضرورة الحياة وصولاً الى حرية العام" (أرنت، حنة(2014) ما السياسة،ص44) ، هذا وتطرح ارنت أن عدم التقسيم للعمل بين الجنسين أيضاً مؤدي الى العنف الاسري، فهنا عنف صنعه الإنسان ضد الإنسان الاخر في العالم ، لان هذه الفكرة تتطلب تقسيم العمل على الاقل، فالكلمة الاهم في هذا الجانب (السيد) المفهوم الذي تراه ارنت بوصفه الفوضى والهوس في العالم .

ومن بين الاعتبارات التي استلهمت فكر أرنت هي مفهوم (المد الشمولي) وسيطرة الانظمة الديكتاتورية والقمعية خلال القرن 11 وجعل كل ما في العالم فوضى وعنف " إن المحاولة التوتالتارية في جعل الناس عديمي الجدوى تعكس الى حد بعيد ما تصنعه الجماهير المعاصرة بلا جدواها على أرض باتت غاصة بالسكان لذا فإن عالم الموت، حيث يلقن الناس أنهم غير ذوي جدوى من خلال نمط الحياة...هذا العالم هو المصنع الذي ينتج العبث يومياً." (أرنت،حنة(2016) اسس التوتاليتارية، ص 237) .

خاتمة وحلول أرنتية:

العنف ظاهرة تقوم على الاستخدام الفعلي للقوة لألحاق الاذى والضرر بالغير من أجل تحقيق أهداف سياسية، سواء كان ذلك من قبل المواطنين وهو ما يعرف بالعنف الشعبي ، أو من قبل السلطة وهو ما يعرف بالعنف الحكومي، هذا الاخير الذي أدى الى ولادة العديد من الانظمة المستبدة عبر التاريخ والى وقتنا هذا.

أما عن النتائج المترتبة على وجود العنف فَي نظر "أرنت؟ فهو خلق جُيل سلبي بصورة واضحة فاقد القدرة على الابداع ، بحُيث تصبح الغاية القصوى لدُيهم أن يظلوا على قُيد الحُياة.

دعت أرنت الى توفير الاستقرار في العالم وحمايته من خطر الفناء ، وهذا يكون بالتربية وجعل المدرسة سلطة جماهيرية يملك من خلالها الطفل إمكانية التكوين الذاتي الذي يحقق الإنسان من خلاله استقلاله الذاتي مستعملا عقله بحرية، وحتى لا تتكرر جرائم العنف في المجتمع ، وهنا صاغت أرنت تصورا مفهوماتياً جديدا حول التربية يقوم على دعامتين أساسيتين هما الولادة والمحافظة، وتقصد أرنت بالولادة ولادة أطفال جدد من أجل إنشاء مجتمع بشري متجدد على الدوام، أما المحافظة فتقصد بها ضرورة محافظة على ربط القديم بالحاضر عند الاطفال وتنمية مواهبهم، فهم القادمون الجدد الذين بأيديهم مهمة حماية العالم ووضعه في مكانه فالتربية يجب أن تكون عملية تنويرية تؤهل التفكير وتصقل المواهب ، وتنمي الاخلاق للارتقاء نحو أفق فكري مميز، من العيش في الفضاء العمومي، وانحراف وعنف ، وهذا يمكن البشر انشاء مجتمع أقل بؤس يكون بجعل المدرسة سلطة جماهيرية يمتلك من خلالها الطفل إمكانية التكوين الذاتي.

المصادر:

1) أرنت (2008) في الثورة، ت: عطا عبد الوهاب، المنظمة الربية للترجمة، بيروت.
2) أرنت (2014)الوضع البشري، ت: هادية العرقي، ط1، دار جداول، بيروت.
3) أرنت(2004)ماهي السياسة، ت : زهير الخويلدي واخرون، دار الامان، الرباط، ط1.
4) أرنت(2014) إيخمان في القدس ، تقرير حول تفاهة الشر ، ت: نادرة السنوسي، ط1، ابن النديم ، الجزائر.
5) أرنت(2014) بين الماضي والمستقبل، ستة بحوث ي الفكر السياسي، ت: بشناق عبد الرحمن، دار جداول، بيروت.
6) أرنت(2014) ما السياسة، ت: زهير الخويلدي، وسلمى بن مبروك، ط1، منشورات ضاف، بيروت.
7) أرنت(2015) في العنف، دار السياقي للنشر، ط2.
8) أرنت(2017) حياة العقل،ج2، ت نادرة السنوسي، ابن النديم، بيروت.
9) أرنت(2018) في السياسة وعداً ،ت: معز ميوني ، منشورات الجمل ، لبنان.
10) أرنت، حنة (2016) اسس التوليتارية، ت: انطون ابو زيد، دار الساقي ،لبنان ، ط2.
11) بن دوبة، مليكة(2015) الفلسفة السياسية عند حنة ارنت،ط1، منشورات ضفاف، بيروت.
12) العلوي، رشيد(2016) الشر الجذري عند كانط، مجلة الشرق الاوسط.